توحيدة

« الى « نبوية » .. قصيدة الصديق الشاعر كامل ايوب ، مع اعجابي بها ، وبه »

...✶...

احكي يا امي عن توحيده ...
قصي كيف تراها داست فوق الاشواك ،
قصي كيف تراها كانت اصلا في كل عراك
كيف تراها ذاقت طعم العلقم ...
كيف اقتحمت خط النار
ثم تولت ذات نهار !..
قصي واحكي كل حكاياها
حتى صارت اسطوره
او فدعيني احكي قصتها للاولاد ..
حتى تبقى ذكراها
في ذاكرة الاحفاد
محفورة :

...✶...

... كبرت توحيدة في الحي
وتكون في صمت نهدان :
نبتا في فرع الرمان
في العود السارح ..
الوجه صباح كالقشده
ـ وكأن البدر تنازل يوما
فلقد اعطاها خده ـ
خدك نور يا توحيده ..
واذا المرء رآها لا يملك الا التنهيده ..
امشي يا توحيده :
هزي الحلق الهسهاس ،
دوري في عين الناس ..
ما من مخلوق في الحي هنا الا يعرف توحيده
كل عيون الحي تراها تمشي خلف الكعب العالي
تتمنى الغالي ..
رني الضحكة يا حلوه
كل بنات الحي تغار .. تغار
في الصدر اشتعلت من غيرتهن النار
حتى عبد الجبار
ـ ذاك العملاق ـ
ءاما في الحي يراها يصبح مسكين
كالفرخة شاهدت السكين ..
مسكين يا عبد الجبار :
توحيدة ليلتها نصف جنيه
لكنك يا عبد الجبار
لا تملك حتى قوت نهار !

...✶...

توحيدة غانية الحي ..
ام ولدتها ذات مساء
رات البدر عليها في وجه غلام
سمتها توحيدة ..
ولدتها كبرى لعيال خمس
وتناقل في الدرب الهمس :
« توحيدة احلى بنت في الحي »
كان لها وجه قمر ،
وعيون واسعة كالفنجال ،
ويد نقشت حنه ،
واللثغة في السنة :
فتكسر كل الكلمات
وحواليها تلتف صبيات
وتلم الاطفال لديها
وتشمر في الماء ..
تملأ كل الدرب مرح
وغناء
ويقال : وكان لها صوت عصفوري ...
ام ولدتها ذات مساء
حلفت لن ياخذها منها الا « بيه »
وترى الخير يجيء بايديه
فتنام
توحيدة تغرق في ريش نعام
تتمرغ فوق حرير
تسكن في القصر العالي
لا تلبس الا الغالي ..
ام ولدتها ذات مساء
حلفت لن ياخذها منها الا « بيه »
وترى الخير يجيء بايديه

...✶...

واحبت ذات صباح محمود :
كبرت والتف العود
واختبأت خلف ملاءه
لتوارى الزند الحلو ..
شاهدت الاسطى محمود
بذراع مفتول ،
وعيون تبرق نور ...
وتلاقت عيناه بعينيها :
عصفور في قفص الصدر يطير
يحدث نفبشة فوق حرير ..
اقسمت البنت الحلوه
بكتاب الله
لن تتزوج الا محمود
حتى لو راحت تستجدي : « لله »

...✶...

ذات مساء سمعت زغروده :
ما اجمل توحيده !
بالثوب الاخضر ،
ومحلى بالقصب ،
بخيوط من ذهب !
اجتمع الشملان
اجتمع الخلان
بعد الحلفان :
اما تتزوج محمود
او تشعل في الثوب النار
... ضمت توحيدة دار
ضمتها هي والاسطى محمود ..
ومضى عام ...
صنعت توحيدة فيه غلام
حلوا كالاسطى محمود
بعيون سود ...

...✶...

وتدور الايام
لم تكمل حتى تحسب عام ...
جاء الخبر اليها ذات صباح اسود
لم تظهر فيه الشمس :
ـ الالة قد اكلت يد محمود
اكلت يده اليمنى .

... ومضت خمسة اشهر
ما من يوم الا فيه المر ...
جرب محمود كل الاعمال
وعلى الكتفين جبال :
باعت توحيدة حتى الفرش
خرج الاسطى محمود في الطرقات
ويمد الكف الى الكفِ ...
لكن قروش الاسطى محمود
لا تكفي
والولد الاسمر معتل
خرجت توحيدة ذات مساء تنسل
عادت قرب الفجر
بالوجه الشاحب
وعيون باهتة المعنى ...
باعت كي تحمى من اكلت يده اليمنى
والولد الاسمر !

...✶...

وتناقل في الدرب الهمس ...
ابتعدت عنها الجارات ..
نفرت منها كل صديقه
حتى صاحبة الامس ...
واحترقت في يدها في اليوم
عشرون لفافه ...
عرفت طعم الملفوف
ويقال : الصوت تخشرج منها :
فقد الصوت حلاوته ..
لكن ما زالت توحيده
كل بنات الحي تغار .. تغار
حتى عبد الجبار
لا يملك الا التنهيده
اما في الدرب رأى توحيده ..

...✶...

واختلطت بالاعداء
ذات مساء ...
ارتفعت فيه بضاعتها
وازدادت سمرتها ..
وتعود على وجه الصبح
فيها جرح ...
كم كانت تبكي في صمت
ان القت جسدا فوق سرير !
والاسطى محمود متكور
في زاوية الفرش ...
ما زالت تدعوه الاسطى محمود !
ما زالت تذكر لما زلت اول مرة :
ذاقت مُره
صب شتائمه لم يهدأ
كم ثار وزام !
لطمتها يده اليسرى
ثم بكى مثل غلام ..،
وبكت بين يديه ...
كم كانت تبكي في صمت !
والاسطى محمود متكور
في زاوية الفرش ..
حتى ان اغمضت الجفن :
تتسلل من محمود اصابع
فتجمع فوقك يا توحيده
دفء غطاء ...
يده ما زالت تحنو ..
تشعر توحيدة باليد
لا تملك الا تتنهد
تبكي في صمت
تتمنى الموت ..
لكن من اجلك يا محمود ،
من اجل الولد الاسمر ،
فرطت الحلوة في اغلى شيء ..

...✶...

نصبوا في بلدتنا الف كمين
راح ضحيتها اعداء
حتى جن جنون الاعداء ..
القوا .. واحترقت في الليل بيوت
عادت توحيدة ذات مساء
لم تجد البيت :
ـ طار البيت بمن فيه ـ
انهد الحيل
ويقال : ولم تذرف دمعة حزن في الليل
او في وجه الشمس ...
كتمت منها النفس
خرجت في اليوم التالي تسعى في عزم :
ونصبنا الف كمين
لم تهدأ عين
كل عدو يسأل : من اين
نحن عرفنا كل خباياهم ؟
.. عند الفجر تعود
توحيدة بالجسم المكدود
في اعينها شيء ..

...✶...

ذات صباح ماتت توحيده
ـ هل عرف الاعداء السر ؟
ـ هل عرفوا سرك يا توحيده ؟
لم يعرف عنها الاعداء
ابدا شيء
لكن توحيدة ذات مساء
عادت بالموت
سعلت وتهدم منها قفص الصدر ..
جاء الموت اليها في الفجر :
ماتت بالسل
ماتت في ذل ...
وتقول لنا احدى الجارات :
ـ ذكرت توحيدة محمود
والولد الاسمر
ولقد كان لها اذ ذاك
صوت عصفوري
ثم تخشرج منها الصوت
ونما فوق القبر الصبار
ما زلنا لا نعرف كيف الصبار نما فوق القبر
واحدة منها امتدت في شكل اليد
وكأن الصبارة تحمى توحيده
كيد الاسطى محمود تحنو في صمت ..

...✶...

يقسم عبد الجبار ،
يقسم للاخوان ،
ما من عصر خميس الا زار القبر
واستغفر ربه ...
كيف ترى فكر فيها في اثم ؟!
استمطر فوق القبر الرحمات
وضع الازهار
ولئن لم يملك حتى قوت نهار ...

...✶...

يا توحيده :
يا اختا ولدت كبرت عاشت في احساسي
يا اختا اكلت شربت من انفاسي
ما زال العالم يحيا في حزن
وكئيبا ما زال العالم ..
لكن يا توحيده ،
ما زلنا في صمت نعمل شيئا في اصرار
ايدينا احترقت في النار
والسل بنا في الصدر ..
لكن يا توحيده :
وحياة القبر ،
وحياة الصبارة وقد امتدت في شكل اليد
ما زلنا يا توحيده
نطمع في شمس الغد

القاهرة **مجاهد عبد المنعم مجاهد**